فاوست

تطور الحكاية الشعبية من مارلو لجوته

The Development of the folk tale from Marlowe to Goethe

إعداد

د / خميس منيف العجمي

ملخص البحث

الدكتور فاوست، الطامح الباحث المشتت بين العلم والسحر، بين قيود الكنيسة والتطلع للحرية، يقبع مغمورا في نفسه ينتظر الخلاص أو يسعي لخلاصه بنفسه، مجسدا التضاد البشري، بما يمثل مدخلا لفهم كثير من خصائص النفس البشرية، وتقدم تلخيصا لمفاتيح الشرف في النفس الإنسانية، فيما عُرف بالخطايا السبع.

ويتناول البحث اثنين من أهم الأعمال التي تناولت اسطورة فاوست في الأدب، وتطورها من استلهامها على يد الكاتب الإنجليزي (كريستوفر مارلو)، وحتى نضوجها عند (يوهان جوته). وإلى مدى تتشابه الحبكة في كلا العملين، مع محاولة للوقوف على اختلاف المعالجة وتجسيد المأساة في (فاوستس) مارلو كنموذج لأعماله المسرحية، وما فيها من خطابة ومشاهد هزلية على نهج كتابات عصره، ثم (فاوست) جوته كحالة من حالات الدراما الشعرية، التي تجنح أكثر إلى الفلسفة.

الكلمات المفتاحية

فاوست، جوته، مأساة دكتورفاوستس، كريستوفر مارلو، ، الخطايا السبع.

Abstract

Dr. Faust, the aspiring researcher, scattered between science and magic, between the chains of the church and the aspiration for freedom

Laying immersed in himself, awaiting salvation or seeking its own salvation, embodying human antagonism, which represents an entrance to understanding many characteristics of the human soul, and provides a summary of the keys to honor in the human soul, while known as the seven sins.

The research tackles two of the most important works that dealt with the Faust legend in literature and its development from its inspiration by the English writer (Christopher Marlowe), until its flourishing by (Johann Goethe).

In addition, to which extend that the plot is similar in both works. with an attempt to identify the difference in treatment and embodiment of the tragedy in "Faustus" by Marlowe as a model for his theatrical works, and the rhetoric and comic scenes in it according to the writings of his time, then "Faust" by Goethe as a case of poetic drama, which tends more to philosophy.

Key words:

Faust , Goethe , faut's Tragedy , Christopher Marlowe, the seven sins.

مقدمة

استلهم كثير من الأدباء أعمالا بارزة من وحي أسطورة فاوست، وظهرت مستوحاة في عدد من الأعمال الفنية إضافة للمسرح، كالرواية والمقطوعات الموسيقية والأفلام السينمائية. وظلت حتى يومنا هذا مصدروحي يلجأ إليه المبدعون لفض اشتباك العلاقة بين الخير والشر، بين النور والظلام، ممثلة في صراع الأبيض والأسود داخل النفس البشرية.

في العصر الفيكتوري بالقرن التاسع عشر في إنجلترا، أزال الناقد الإنجليزي ماثيو أرنولد[1] كثيرا من القيود عند تناول نص أدبي أو عمل فني، فيما عُرف ب "لعب الأفكار الحر" التي تتعدى النص ذاته لتتناول بالنقد الظواهر الحياتية بشكل أكثر عمومية، وليس كما تظهر في النص الأدبي، أو نقد النص " Textual Criticism " كفرعٍ من النقد الأدبي Literary Criticism. و اتخذ كثير من النقاد هذا المنهج النقدي منطلقا لتناول الأعمال الخالدة التي تركت أثرا في الأدب العالمي، وتمت صياغة تلك الأفكار بطريقة جعلتها تجمع أفكارا جديدة ومتنوعة عند أكثر من مؤلف.

كما اعتُبرت تلك الأعمال اللافتة- وفقا لدراسات أكاديمية نقدية عديدة- إشارة وتوثيقا لعصرٍ اتسم بالشك والتساؤلات الفلسفية، في مجتمعات عملت على تحرير الأدب من قيود الدين والأعراف. و انطلقت من كونها أناشيد شعبية مغناة في عصر العلم، إلى أكثر من عمل مسرحي، ثم روائي وسينمائي أيضا.

لكننا نكتفي هنا برصد التطور بين مارلو وجوته في رسم شخصية فاوست، وبعض الشخصيات الرئيسية في الحكاية، وكذلك حبكة الأحداث.

***

الزمان والمكان: الإمبراطورية الألمانية بالقرن السادس عشر

الشخصية: في كلا العملين نتعرف على الدكتور والعالم المعروف الدكتور يوهان فاوست الساعي لاكتشاف جوهر الحياة الحقيقي، و أثناء سعيه الدؤوب لاكتشاف جوهر الحياة تتطور دراساته وتجاربه وقراءاته بين الفيزياء والفلك والسحر والتنجيم.

وقد حيكت حولها حكايات وخرافات وأساطير جعلتها موضع اهتمام مختلف الأوساط الشعبية والعلمية والكنسية والثقافية والفنية، لا في ألمانيا فحسب، بل في كثير من أنحاء العالم حتى العصر الحاضر. وكما يرى الباحث والمترجم محمد عوض محمد،

فقد ربطت بعض الأدبيات التاريخية شخصية فاوست بالو اقع حيث "ولد عام 1480 في بلدة كنيتلينجن بمقاطعة ڤورتمبرج، وتوفي في شتاوفن في منطقة بر ايسجاو بين 1536 و1539، وقد عُرف منذ عام 1506 ساحراً ومنجماً. وعمل مدير مدرسة في بلدة كرويتسْناخ عام 1507، وهناك وثائق تدلّ على عيشه وممارسته السحر والتنجيم في إيرفورت عام 1513، وفي إنجولشتات عام 1528، وفي نورنبرج عام 1532، حيث كان يُطرد كل مرة بعد إقامة قصيرة"[2]. يقوده السحر إلى استدعاء الشيطان الذي يرسل إليه أحد كبار مساعديه ويدعي (مفستوفيليس) و"يتم إبرام عقد بينهما يقضي بأن يقوم مفستوفيليس بخدمة فاوست طوال حياته، مقابل أن يستولي على روحه عند موته".[3] وهذا مشروط ببلوغ فاوست قمة السعادة.

أما عن توثيق الأسطورة، فقد "ظهرت حكاية الدكتور يوهان فاوست (1587) للمرة الأولى منسوبة إلى صاحب أحد المطابع ويدعى (ي. شبيس J.Spiess)، كنتيجة للربط بين الأخبار والحكايا والشائعات حول فاوست وممارساته و أقاويل هرطقته، وبين قصصٍ قديمة متصلة بسمعان المجوسي وتيوفيلوس وغيرهما، ممن عقدوا صفقات مع الشيطان"[4]. ومع انتشارها كحكاية شعبية، جاء توثيقها في كتاب "أقرب للتحذير والوعظ والإرشاد، لتخويف الناس في ذلك الوقت من الاستغراق غير المفيد والتمادي في الشر والإغراب في التشكيك أو التأمل في مسلّمات الدين والخَلق، لأن ذلك -حسب ذلك الزمان والمجتمع- يفضي إلى الهرطقة والتجديف. وهو ما راق وو افق سيطرة الكنيسة في أوروبا في ذلك العصر"[5]. ومع ذيوع الحكاية الشعبية ونسج الخيال حول شخصية فاوست، راجت طبعات كتاب صاحب المطبعة الألماني، وذاعت ترجماته لعدد من اللغات الأوربية. وصارت مادة الكتاب مهلمة للكتابة والتأليف من كُتّاب وأدباء ذوي اتجاهات أدبية مختلفة. وتطورت الحكاية وأُضيف إليها "قصة حب فاوست لصبية من عامة الشعب. كوَّنت الأساس لمعالجة جوته اللاحقة. وفي عام 1725 قدم ماينندن ملخصاً عن ذلك الكتاب الشعبي، راجت طبعته في الأسواق الألمانية والمجاورة، وساعد على انتشار الأسطورة"[6].

***

قراءة العملين

فاوستس مارلو

المسرحية تأتي في خمسة فصول متفاوتة من حيث عدد المشاهد

الفصل الأول يتألف من أربعة مشاهد، والفصول الثاني والثالث واخامس كل منهم يتألف من ثلاثة مشاهد، فيما يتألف الفصل الرابع من سبعة مشاهد. مع الأخذ في الاعتبار أن هناك مشاهد هزلية (comic scenes) يمكن اعتبارها استراحات قصيرة وسط المشاهد الرئيسية

الشخصيات الرئيسية (The main characters)

- **البطل، دكتور فاوستس، طبيب ألماني ومتخصص في علم اللاهوت**
- **ممثلة الخير أو ملاك الخير، الروح المتكلمة داخل فاوستس، تحضه على الخير والصواب وتحذره من السحر و اتباع الشيطان، وتذكره دوما بعقاب الرب لمن ينصاع لخطوات الشيطان**
- **ممثلة الشر أو (النفس الأمارة بالسوء) داخل فاوستس، تغريه بطريق الشيطان، وتزين له السحر والشعوذة، وتؤكد له أن ذلك هو طريق الثروة والشهرة والنفوذ وحكم العالم، والوصول لكل الشهوات والسيطرة المطلقة**
- **ميفيستوفيليس، مبعوث أو رسول أمير الشياطين (لوسيفر)، والوسيط بين لوسيفر وفاوستس، والملكف بإتمام العقد مع فاوستس. الذي يحذره دوما من التراجع في قراره المضي في السحر**
- **لوسيفر، أمير الشر أو الشيطان الاكبر، صاحب عرض العقد الذي بمقتضاه، يمنح فاوستس أربعة وعشرين عاما من القوة والنفوذ والثروة والسيطرة والسحر، مقابل الحصول على روح فاوستس في نهاية العقد**
- **فالديز، ساحر صديق لفاوستس، يعلمه من أصول السحر الأسود**
- **كورنيليوس، ساحر ثانٍ وصديق لفاوستس يتولى مع فالديز تعليم فاوستس مبادئ السحر**
- **فاجنر، خادم فاوستس وتلميذه**
- **بيلتسبوب، شيطان من مساعدي مفيستوفيليس**
- **الجوقة**

نبذة مختصرة عن أحداث المسرحية

الدكتور الألماني المتفوق في الطب والمتخصص في علم اللاهوت، ينمو لديه طموح يفوق ما بين يديه من علوم ويتطلع لمسائل تتعدى المعقول إلى خوارق الطبيعة. وذلك، بحسب ذلك العصر، لا يتم إلا بالسحر. تشتعل مطامعه ويرغب في الشهرة والثروة والنفوذ والقوة، فيبدأ في تعلم السحر، وتسيطر عليه تلك الرغبة تماما. فيلجأ لصديقين لديهما دراية واطلاع واسع بالسحر هما (فالديزوكورنيليوس)

بينما يبدأ تعلم السحر ويخطط لذلك، يبرز دور ملاك الخير أو واعز الخير Good Angel داخله، ويبدأ التحذير من طريق الشر، ويذكره الملاك بالرب وعقابه لمن يسيرون في طريق السحر الأسود، وأن مآل ذلك الهلاك والخسران. ومقابل ذلك يبرز ملاك الشر Bad Angel، فيغريه ويبرر له طريق السحر، ويزينه بما سوف يمتلك من نفوذ وقوة وثروة، كفيلة أن تخضع له العالم والملوك.

بين حديث ملاكيْ الخير والشر، يتخذ فاوستس قراره النهائي بتعلم السحر وطريق الشيطان.

هنا يبدأ دور ميفيستوفيليس أحد مساعدي لوسيفر أمير الشياطين وخادمه.

يبين ميفيستوفيليس بقناع الناصح الأمين أن طريق السحر صعب وخطير، ولو اتخذ فاوستس قراره بالسحر فليس بوسعه العودة أو العدول أو التراجع في أي مرحلة. يبين فاوستس تفهمه الكامل، ويؤكد أنه لن يتراجع عن قراره و أنه مستعد لتبعاته.

يطلب فاوستس من ميفيستوفيليس أن يحكي له عن إمكانات لوسيفر الخارقه وقدراته اللامحدودة، وقبل الاتفاق النهائي بدخول طريق السحر الأسود، يخبره ميفيستوفيليس، أن القرار ليس له، و إنما بيد أميره لوسيفر.

يعود ميفيستوفيليس إلى سيده لوسيفر طالبا الإذن بإتمام العقد مع فاوستس. ويعود ميفيستوفيليس لفاوستس، ويبشره بأن لوسيفر سيعطيه من كل إمكانياته وقدراته الخارقة ما يمكنه من تحقيق كل ما يريد والسيطرة على العالم لمدة أربع وعشرين سنة، مقابل أن يستولي الشيطان لوسيفر على روح فاوستس في نهاية مدة الاتفاق

يو افق فاوستس على شرط الاتفاق ويقر توقيع العقد مع لوسيفر، الذي

يشترط توقيع فاوستس على العقد بدمه. يو افق فاوستس، ويجرح يده ليوقع بالدم على العقد. لكن المفاجأة أن الدم يتجلط بمجرد نزيفه، فيشعر لبعض الوقت أن في الأمر إشارة سيئة، كي لا يتم التوقيع. لكنه يمضي بكل إصرار حتى ينجح في توقيع العقد بالدم. ويصبح العقد نافذا، للشيطان روح فاوستس بعد أربع وعشرين سنة، مقابل تمتعه بقدرات خارقة.

ويبدأ فاوستس في الحصول على السيطرة والنفوذ اللامحدود. ويعلمه ميفيستوفيليس أن هناك خطايا سبعا قاتلة Seven Deadly Sins وهي التكبر والحسد والطمع والغضب والشره والكسل والشهوة

مع مضي سنوات العقد الأربع والعشرين، و اقتراب نهايتها، يشعر فاوستس بالخوف ويستبد به القلق، ويعلن إحساسه بالندم لأن حياته صارت ملكا للشيطان. ويساعده على الندم والخوف كلمات ملاك الخير، الذي يذكره أنه نصحه مرارا بالتوقف والرجوع. لكن الأوان فات، ولم يعد ندم نافعا.

ونصل لليلة الأخيرة، حيث شعور فاوستس بجحيم الخسارة لكل شيء، ومخاوفه من العقاب الأليم الذي نتظره في الجحيم، وأن ذلك كله بسبب طموحه الجامح. لنصل إلى المشهد الأخير، حيث ينتهي العقد ويستلم الشيطان روح فاوستس

فاوست، جوته

قبل الحديث عن الشخصيات وأحداث المسرحية، يجب التنويه أن جوته كتبها شعرا، في نحو اثني عشر ألف بيتٍ شعري، وقسّمها لجزئين. الجزء الأول تعدى الأربعة آلاف وستمائة بيت شعري، والثاني تعدى السبعة آلاف وأربعمائة بيت. بدأ كتابتها في بداية شبابه وأنهاها في نفس عام وفاته

الشخصيات

- فاوست، الطبيب والعالم
- مفيستوفلس، ممثل الشيطان
- مارجريت، معشوقة فاوست
- مارثا، جارة فاوست

- فالنتين، شقيق مارجريت
- فاجنر، مساعد فاوست وتلميذه

ملخص المسرحية

الدكتور فاوست، الحريص على العلم والمعرفة والتبحر في القراءة بأنواع المعارف المختلفة والعلوم المزدهرة في زمانه. يشعر بقدراته العلمية ومعرفته الكبيرة بصنوف العلوم، فيتسلل إليه مللٌ وتبدو أمارات الكبر والغرور، ويشعر أنه أضاع سنوات بلا فائدة. وأن كل العلوم محدودة القدرات، ولم يحيا حياته بالرفاهية المرجوة. حيث الشباب في مثل سنه لا يحبسون أنفسهم في غرفات ملآنة بالكتب والمخطوطات، بل يعيشون السعادة والمتعة والمرح.

يظهر مفستوفيليس، فيعترف فاوست أمامه بأنه أضاع حياته هدرا، ولم يعِش كما ينبغي لشبابه. يعرض عليه مفستوفيليس الذي يمثل الشيطان، أن يمنحه ما يريد من النفوذ والقوة والثروة التي نمكنه من كل المتعة والرفاهية المرجوة والخيالية، لمدة أربع وعشرين سنة، مقابل الحصول على روح فاوست بنهاية تلك السنوات.

فاوست الساعي لاكتشاف جوهر الحياة الحقيقي، يشترط على الشيطان أو ممثله مفستوفيليس أن يصل لقمة السعادة. ويجد فاوست المقايضة مغرية، وأنها صفقة رابحة ومضمونة، ويبدأ الاتفاق، وتتحول حياة فاوست تماما وينتقل للجريمة وإزهاق الروح والتعدي على حقوق الغير. ورغم كل التحولات فإنه لا يزال محتفظا بعشقه ل (مارجريت). حتى حينما يعرض عليه مفستوفيليس متعة النساء، يصر فاوست أنه لا يريد إلا مارجريت التي يعشقها من كل قلبه.

وتمضي الأحداث مشابهة لأحداث الدكتور فاوستس لمارلو، لكن قبل النهاية، يجد فاوست النجاة ويُكتب له ولمارجريت الخلاص من الشيطان والعذاب

***

دكتور فاوستوس، ل (كريستوفر مارلو)

التاريخ المأساوي لحياة وموت الدكتور فاوستس

يُعد مارلو واحدا من أشهر كتاب التراجيديا في العصر الاليزابيثي، ولد سنة 1564 ودرس في جامعة كامبردج وعرف كطالب ألمعي. "عمل كجاسوس سري للبلاط الملكي، وبعد تخرجه سنة 1587 ذهب للندن وعمل هناك كممثل ومؤلف مسرحي في فرقة لورد أدميرال. وألقي القبض عليه في أكثر من مناسبة بتهمة الالحاد. ثم قادته حياته الفوضوية إلى الموت في سن التاسعة والعشرين".[7]

تناول كريستوفر مارلو عام 1589 شخصية فاوست وصاغها شعراً. فهو يعد أول شاعر استغل السيرة الشعبية ليصنع منها عملاً فنياً.

يقول تين TAINE[8] عن شخصية فاوستس عند مارلو: "هذا هو الإنسان الحي المتفاعل الطبيعي، وليس رمزا فلسفيا صنعه جوته. الإنسان على الفطرة، شغوف، مندفع، حاضر في كل وقت، محتشد بالشهوات والمتناقضات وألوان الجنون"[9]

تبدأ الحكاية عند مارلو بمشهد الدكتور جون فاوستوس (فاوست) الأستاذ الشغوف بالعلم والمعرفة، لكنه يعيش حالة الملل من الحياة الجامعية الروتينية، على الرغم من ترقيه لدرجة الأستاذية في علم الديانة بجامعة وتنبرغ، إلا أنه سئم من تدريس العلوم التقليدية. "يزيد فيها ويعيد على مسامع الطلاب حيث لا جدوى ولا غناء عن أحاديث المنطق الشكلي أو عن متون العلوم الطبية الموروثة من دفاتر القدماء"[10].

لاشيء يثير فضول الأستاذ المتبحر في العلوم، لا شيء يجد فيه مخرجا من الملل والسأم، إلا السحر "واجتراح الخوارق وتحدي قوانين الطبيعة التي تواضع عليها البشر على مر السنين"[11]

فماذا لو كانت فنون السحر والخوارق المعجزة هي التي تهيئ السبيل نحو استجماع مقاليد القوة؟ إذ القوة هي سبيل المكانة والسيطرة والقدرة غير المحدودة على تسخير قوانين الطبيعة لخدمة الإنسان.

هنا يظهر اثنان من أهل السماء، أحدهما ملاك الخير الذي يحذر من أن ممارسة السحر أمر لا يجلب سوى لعنة من السماء، بينما يؤكد الآخر- الكائن الشرير- بأن السحر يمكن أن يعود على الساحر بعطايا ومكاسب بغير حدود. و "لأن فاوستوس إنسان؛ فهو يضعف أمام حديث المكاسب والسلطان، ومن ثم يبدأ في حساب المعادلات، واستفتاء علم الرياضيات في محاولة بغير هوادة لاستحضار روح الشيطان الذي يمكن أن

يرضي أهواء البشر ويروي ما يتعطشون إليه من طموحات وأطماع".[12]

كم من الساعات قضاها الباحث وهو حبيس مكتبته أو مختبره؟ "يقرأ ويقارن.. يدون ويجمع ويطرح، مستخدما خبرته في اللغة اللاتينية، التي تفتح أمامه أسرارا ما دونته أقلام علماء وباحثين سابقين. وجاء اليوم الذي أوشك أن يقترب فيه من اللقاء مع الشيطان"[13].

لكنه يتلقى زيارة أخرى من جانب أهل السماء، ملاك الخير الذي يهيب بالعالم الإنسان أن يتوب ويندم على ما فعل، ويطلب من ربه الغفران. "بينما لا يتورع الآخر، نذير الشؤم داعية الشر، عن تذكير فاوستوس ببريق الثروة وهيمنة السلطة وعظمة القوة والسيطرة التي تنتظره لو واصل المسير. حينئذ تتركز الأضواء ويسود المكان سحابات تنبئ عن حدث يقع كالنذير"[14]. ثم يظهر ميفستوفيليس الشيطان، أو ممثل الشيطان الأكبر لوسيف، قائلا: "سأكون عبدا لك.. أقول لبيك وأصبح طوع بنانك في حالة واحدة وهي أن توقع عقدا معنا وتبرم صفقة تكتبها بدمك تبيع بمقتضاهما روحك للشيطان في مقابل أن نتيح لك ما تطمع في نيله من ثروات وسلطات وإمكانات"[15].

بدمه السائل وقّع الدكتور فاوست عقد الصفقة مع الشيطان، باع روحه لحساب الشيطان أو "لحساب أطماع القوة والمال والجاه. بنود العقد تمنح البشري فاوستوس وقتا حسبه طويلا - وهو أربع وعشرون سنة لا غير - يتمتع فيها بما يشتهي"[16]. وحين خاف من صيغة العقد المكتوبة على ذراعه، أحاطه شركاء الصفقة الملعونة بمواكب شيطانية، تهلل وتزين له فعلته التي باع فيها روحه. ها هو يبدأ مطالبه راغبا في زوجة.

وكم كانت صدمته حين جاءته الإجابة: "الزواج رابطة مقدسة يا إنسان، والشياطين لا يتعاملون مع المقدس. وكل ما نستطيع تقديمه لك هو عشيقات، مجرد عشيقات"[17].

حينها اكتشف فاوست خطورة ما أقدم عليه، اللعنة التي تمنعه التوبة والتطهر، وتغلق أمام روحه ملكوت السماء.

كلما رغب بالتوبة وحاولها، انطلقت مواكب الشيطان بالصيحات والتهليل، محتفلة بالخطايا السبع المهلكات: الغرور، الجشع، الغضب، الحسد، الشره، الكسل، والفسوق.

رتب الشيطان رحلات لصديقه فاوست، وأراه معالم أوروبا. ثم تنتشر شهرة فاوست وقدراته. لدرجة أن يلتقي بإمبراطور ألمانيا، الذي يطلب منه استحضار روح الإسكندر الأكبر. لكن فاوست يُقر بأن ذلك غير ممكن، لكن -عوضا عن ذلك- يستدعي للإمبراطور روحا شبيها بروح الإسكندر المقدوني.

وتمضي الأحداث بفاوست، وتقترب نهاية سنوات العقد الأربع والعشرين، "فيحاول فاوست التوبة وطلب الغفران والتطهر. لكن الشيطان يتوعده، ويهدده بأن يمزقه، ويقطع أوصاله ويُعرضه للعذاب، إذا بدرت منه إشارة ندم"[18].

تحين الساعة الأخيرة فلا يجدي إبداء الندم شيئا، "يودع فاوستوس زملاءه العلماء معترفا في أشعار المسرحية بأنه أضاع فرصة خلود الروح في عالم المسرة والبهاء الأبدي مقابل متع فانية ومسرات بغير جدوى"[19]. وفي اللحظات الفاصلة الأخيرة يرتفع صوت الدكتور جون فاوستوس يقول:

"يا ليتني تحولت إلى قطرة في بحر لجيّ متلاطم، تغيب في قاعه المظلم فلا يكون لها أثر"[20]

لكن الساعة المنتظرة حان وقتها، وتعلن عقارب الساعة انتصاف اليل. لنجد فاوست وحوله موكب الشياطين، يحوطون به هاوين لقاع الجحيم.

***

الفكرة

الصراع بين الخير والشر، الفكرة المعروفة والمستوحاة من الدراما الشعبية في القرون الوسطى، التي تنسج حياة الطمع والتطلع والطموح. فنحن أمام عملٍ يُعد من "التنويعات الدرامية المؤثرة على اللحن الموروث من أيام القرون الوسطي وقد تناهي اللحن إلى تلك القرون ذاتها ليحكي مأساة الإنسان"[21] .

المسرحية ترتبط في خطابها بالأخلاق والنصيحة، ولولا موهبة مارلو لتحولت لعمل وعظي، فنجدها "تتحول بفضل نبوغ كريستوفر مارلو إلى عمل درامي مازال يعيش في عمود الدراما الإنجليزية"[22]

نجح مارلو في رسم شخصيات تخدم أفكاره وتمثلها. وتؤدي "دورا وظيفيا في شحن المو اقف الدرامية.. يحاول فاوستوس استحضار شخصية الاسكندر الأكبر وهو رمز السلطة والقوة والهيمنة فلا يفلح سوي في استحضار زوج من قرون الحيوان"[23]

قدمت المسرحية أفكارا مهمة، تستحق التأمل والدراسة والبحث، كفكرة المعصية ووجودها في الفهم المسيحي. "حيث تعرف المسيحية المعصية بأنها مناقض منطقي للخير"[24]

هنا نجد طاعة فاوست للشيطان، ليست مجرد معصية للإله، بل تعدت ذلك لتجسيد الشر وبيع الروح للشيطان. حيث تلمع فكرة الصراع بين الجسد والروح لتؤكد أن "الجسد الآدمي متعلق تماما بالشبق الجنسي والرغبات الدائمة، بينما الروح يفترض أنها متعلقة بكل المثاليات والفضائل السماوية".[25]

كما تبرز فكرة الصراع بين الخير والشر، وارتباك الإنسان وتشتته. فالدكتور فاوست، لم يفهم ما يمكن أن يصل به عقد بيع روحه للشيطان، فعاش الارتباك والتشتت.

كما تتضح فكرة ثنائية العبودية واللعن، فوفقا للمعتقد المسيحي "العبودية ضرورية لعتق المسيحي من النار، وعندما يفشل المسيحي باستعباد نفسه للرب فانه يخلد باللعن، إن العبودية – هنا – هي رديف للتوبة، وقد رفض فاوستس التوبة"[26].

ووفقا لأفكار مارلو السابقة، يمكن تلخيص أهداف العمل، التي تبدأ من بيع النفس للشيطان، وأنها أكبر من مجرد بيع الجسد. "لقد جهل فاوستس بالتفاصيل الكاملة للعقد، ولهذا، فقد عقله وجسده. لقد حاول فاوستس الإبحار بعيدا عن مجتمعه الإنجيلي بالتنصل من كافة التعليمات الدينية، لكنه لم يجن شيئا سوى الخسارة الكاملة لذاته البشرية"[27].

لذلك، حسب مارلو، فإن محاولة فصل الروح عن الجسد فاشلة، وبناء على تفاصيل العقد الذي جهل فاوست بأهم ما فيه "وجد فاوستس نفسه كعبد كامل للشيطان. لقد فقد ذاته الانسانية بأكملها عندما فقد عقله"[28].

تؤكد القراءة في مسرحية الدكتور فاوستس على قوة الشيطان بمقارنة مع البشر. لذا وجب على الإنسان- كما يرى العمل الأدبي- ألا يقع بين يدي الشيطان. لكن "دكتور فاوستس سهل المهمة على الشيطان برفضه لكافة التعاليم الدينية، ولسعيه للتعاقد مع الشيطان. ونتيجة لهذا، وقع هو بالفخ، وتم تدمير إنسانيته بالكامل"[29].

تلك الحقيقة الواضحة، أي اتفاق مع الشيطان لا يمكن أن يكون في صالح

الإنسان. "أصبح فاوستس مجرد أداة بيد الشيطان لا إرادة له. لقد سخر الشيطان من فاوستس عندما أغراه بخمسة مكاسب تحققت بشكل عكسي: لقد وعد الشيطان فاوستس أن يمنحه روحا خارقة لكن، في الحقيقة، أصبح فاوستس أداة بلا روح. لقد وعد الشيطان فاوستس أن يصبح خادما له، لكنه أصبح السيد الآمر الناهي، وفاوستس مجرد عبد منفذ. لقد وعد الشيطان فاوستس بالسعادة، لكنه لم يجلب له سوى اللعن. لقد حاول دكتور فاوستس أن يصبح خارقا، لكن محاولته فشلت. إن طبيعة الخلق البشري مبنية على رفض القدرة المطلقة لأن أي انسان قاصر عن الانفلات عن النظم والقوانين الإلهية[30].

***

الانتقال من مارلو لجوته

بعد مسرحية مارلو توالت الأعمال المستوحاة من فاوست بأعداد مذهلة، حتى إنه "ألفت عشرات المسرحيات عن فاوست قبل ظهور مسرحية جوته، وكانت الفرق المسرحية الإنكليزية في نهاية القرن السادس عشر وطوال القرن السابع عشر هي التي أدخلت إلى ألمانيا مسرحية فاوست لمارلو" [31].

وتحت تأثيرها قام أصحاب المسرح الشعبي الألماني الجوال بوضع مسرحيات موضوعها فاوست. وهذه المسرحيات فيها بعض المشاهد والشخوص المستمدة من مارلو مباشرة، وقد لخّص كونوفشر هذا الموضوع في أربع نقاط هي: "مناجاة فاوست، وبها تبدأ المسرحية. ثم ظهور الملك، وتبادل المشاهد المأساوية مع المشاهد الهزلية، وإدخال المهرج كأحد شخوص المسرحية. ثم الإعلان عن النهاية الأليمة لفاوست بواسطة دقات الساعة"[32]

نشط عدد من الأدباء الألمان في تأليف أعمال مستوحاة من شخصية فاوست، و"اعتمد بعضهم على مسرحية مارلو والمسرحيات الشعبية والكتاب الشعبي، أمثال ليسنج[33]، وغيره"[34]

(فاوست) يوهان جوته[35]

تختلف القراءة من مارلو إلى جوته، فجوته يميل، كما ذكرنا، إلى الدراما الشعرية. حيث يُعد القرن الثامن عشر، حسب وجهة نظر المهتمين بتأريخ الأدب الأوروبي، أنصع عصور الأدب الألماني، الذي شهد بزوغ أسماء كبيرة كان لها تأثير في حركة الأدب الأوربي بشكل عام. وشهدت الحركة الأدبية نزعة لبناء شخصية أدبية ألمانية

خاصة. وظهر ذلك في تأثير الشاعر والفيلسوف يوهان جوتفريد هردر[36] على الحركة الثقافية في ذلك العصر، وساهمت أفكاره التي شرحها في كتاب (محاولات نحو أدب ألماني جديد) عن الشعر والتاريخ في إثراء الأعمال الأدبية لكثير من المقربين إليه. وامتد تأثيرها بعد ذلك لعصر الرومانتيكية. واشترك هردر مع جوته في تأليف كتاب مهم عن الشخصية والفن الألماني[37].

برز الاهتمام بأهيمة تأصيل أدب قومي ألماني، يؤثر أكثر مما يتأثر، ويكون له شخصية فريدة تدل على القومية الألمانية بحكاياها الشعبية. ودعا الناقد والفيلسوف (هردر) أدباء أمته إلى جعل كتاباتهم نابعة مباشرة من القلب، والتعبير المكثف عن الذات الألمانية. يقول هردر: "احتفظ بهويتك دون خوف فكل ما تحتاج إليه، أو تحتاج إليه ثقافتك القومية سوف يتاح لك في قول عفوي معبّر يلهمك في حماسة متقدة"[38].

اطلع جوته وبتشجيع من هردر على هوميروس وشكسبير والإنجيل وكثير من الأغاني الشعبية من ريف الألزاس[39]، وبدأ بنوع جديد تماماً من الشعر في خلق تقليد أدبي قومي

"وكان الفن القوطي مثالاً على الروح القومية الألمانية، وقدّم تقليداً للعصور القديمة، وأظهر لأول مرة منذ ترجمات لوثر للإنجيل القدرة على التعبير عن اللغة الألمانية العادية وتوسّع فيها وذلك بغير أن يلجأ إلى تزويقها ببراعة الصنعة الفنية أو الحيل البلاغية أو الزخارف المتباهية المكتسبة عن طريق التحصيل"[40]

كتب جوته مسرحيته فاوست في جزئين، ظهر الجزء الأول عام. وبعد ست وعشرين سنة أي في عام ،1832 وهو نفس عام وفاة جوته، صدر الجزء الثاني من المسرحية.

وتبدو الفروق واضحة بين الجزئين، وربما يعود ذلك لعامل الفارق الزمني الكبير نسبيا. ففي الجزء الأول ركز جوته على "روح دكتور فاوست التي باعها للشيطان أو مساعده ميفيستوفيليس"[41]

أما الجزء الثاني، فتظهر اهتمامات جوته بالظواهر المجتمعية، وما عاصر ذلك من مشاكل وأحداث سياسية ونظريات فكرية وفلسفية. للدرجة التي اعتبرها النقاد أنها "أقرب لعمل أكثر عمقا ونظرة فلسفية، فهو يُعد من أكثر إنتاجات الأدب الألماني تعقيدا، واختلاطا للأدب بالفلسفة"[42].

إن أول لقاء لجوته مع شخصية فاوست كان عام 1753 حيث كان عمره أربع سنوات، حين أهدته"جدته مسرحاً للعرائس، ومن بين القطع التي احتواها هذا المسرح -اللعبة- قطعة عن "الدكتور فاوستوس"، وعندما قارب على سن الخامسة عشرة اشتعل قلبه حباً بفتاة تدعى جريتشن (مرجريت)، وحين سافر إلى مدينة ليبتزج لدراسة القانون رأى حانة أورباخ، ويعود جوته بعد عام إلى فرانكفورت مريضاً سوداوي المزاج حتى أنه فكر في الانتحار"[43].

بدأ خيال جوته في الاهتمام بالسحر والحكايا، وارتبطت رحلاته باستكشاف روح الأساطير. وبالفعل نجد جوته يُعنى بالسحر وعلومه، ويسافر إلى اشتراسبورج وهناك "تعرف على كاتدرائية اشتراسبورج، هذه التحفة العظيمة من المعمار القوطي فاستشعر الروح الجرمانية الأصيلة وتسلطت على خياله الشعري شخصيتان جبارتان من القرن السادس عشر هما: جيتس فون برشنجن والدكتور فاوستوس المتطلع إلى الإنسان الأعلى، وهذا كان بين عامي 1770 – 1771، حصل جوته على الليسانس في الحقوق 1771 من اشتراسبورج وذهب إلى فتسلار للتمرين ليكون محامياً وشرع هناك بكتابة مسرحية فاوست عام 1772".[44]

وفي عام 1774كتب (شذرة فاوست) وكانت بداية مهمة، بنى عليها فيما بعد وطورها لتأليف (مسرحية فاوست) في جزئها الأول. "توقف عن كتابة المسرحية 1775، و"لم يواصل الكتابة حتى ذهب إلى إيطاليا 1788 حيث كتب مشهد مطبخ الساحرات ومشهد غابة وكهف. وبهذا تكون مسرحية فاوست الأول في صورتها الأولية قد شملت: مناجاة فاوست – استحضار روح الأرض – الحوار مع فجنر – الحديث بين التلميذ ومفيستوفيليس- حانة أورباخ- جملة مشاهد حول مرجريت وفاوست – مطبخ الساحرة- غابة وكهف".[45]

و"توقف جوته تماماً عام 1790 عن العمل على فاوست، ولم يتابع عمله حتى 1797 بتحريض من شلر فأقبل وكتب القطع الثلاث الأولى (الاهداء- الاستهلال على المسرح – الافتتاح في السماء)، وهكذا حتى عام 1808 ظهر فاوست الأول بعد أن أضاف مشهد السجن ومصرع فالنتين وليلة فالبورج..."[46].

أما فاوست الثاني فيقول جوته:"شخصية فاوست في أعلى درجاتها تأليف

جديد مستخلص من الأساطير الشعبية القديمة الغليظة. تعرض إنسانا ضاق ذرعاً بالإطار الأرضي العام وتبين له أن اكتساب أعلى معرفة والاستمتاع بأجمل الخبرات، هما أمران غير كافيين لإشباع أمانيه ولو لأقل درجة. إنه روح أينما تلفت عاد شقياً يائساً. وهذا الشعور مماثل للإنسان الحديث حتى إن كثيرا من الرؤوس الجيدة شعرت بأنها مدفوعة الى معالجة هذه المسألة. والطريقة التي وفقاً لها تصرفات قد ظفرت بالتقدير ورجال ممتازون فكروا في هذا وفسروا النص الذي كتبته وهو التزاوج بين الشيطانية الرومانتيكية وبين النصاعة الكلاسيكية الأولى ممثلة في فاوست والثانية رمزها هيلانة"[47].

يقول جوته: "إني راسخ الإقناع بأن روحنا شيء لا يقبل الفناء إطلاقاً".. لذلك قد "قبل فكرة عالم الروح وداعب آمال تقميص الأرواح، ورسم البروج أحياناً لكشف الطالع[48].

وحسب ما يقوله سبينوزا[49] فنحن "ننتمي إلى قوانين الطبيعة حتى إن تمردنا عليها".

وهنا يظهر التطور في تناول شخصية فاوست عند جوته، كونها شخصية أسطورية ألمانية، عاشت في عصريهتم بالعلوم قدر اهتمامه بالسحر. يحاول الابتعاد عن قيود الكنيسة، لكنه يصطدم بقوانين الطبيعة. فيعود لحقيقة يراها من أن النفس البشرية في صراع دائم بين الخير والشر داخلها.

***

الاستهلال المسرحي

تأثر فيه جوته بنموذج مسرحية هندية اسمها "شاكونتالا"[50]، ل(يكاليداسا)، فالشاعر الهندي قد وضع في مستهل مسرحيته حواراً بين مدير المسرح وبين إحدى الممثلات في المسرحية، وقد قرأ جوته ترجمة المسرحية الى الألمانية فألهمه هذا الحوار التمهيدي في المسرحية الهندية هذا الاستهلال المسرحي الذي كتبه لفاوست[51]

ويجري الحوار في هذا الاستهلال المسرحي بين الشاعر من جهة وبين مدير المسرح والشخص المرح من جهة أخرى، "ويطلب هذان الأخيران إلى الشاعر أن يؤلف مسرحية ترضي ذوق الجمهور كي يزداد دخل المسرح من المال بينما الشاعر يشيح بوجهه عن هذا الاتجاه المادي انه يصور حال الشاعر وصراعه مع أهداف الماديين العاملين في الفن

وكيف يُستغل لأهداف مادية بحتة على عكس ما يرنو إليه مريدو الفن الحق"[52].

الافتتاح في السماء

تبدأ المسرحية من السماء لأن "الفكرة الرئيسية التي جعلها (جوته) محوراً لتصوره لمأساة فاوست هي فكرة (الرهان) بين الله والشيطان".

والشيطان هو الذي يقترح الرهان مع الله ذلك لأنه، كما يرى الدكتور عبد الرحمن بدوي، "مفستوفيليس وهو في حضرة الله يسخر من الإنسان ، فهو – أي الإنسان – يدعي أنه إلهاً لكنه غريب الأطوار، وكان يمكنه أن يعيش على نحو أفضل لو لم يكن الله وهبه العقل (أي مثل باقي الكائنات الحية) ، وهو يستخدم العقل ليصير أكثر حيوانية من الدواب . فيوبخه الله لأنه لا هم له إلا التحقير والانتقاص من المخلوقات"[53]

يقول عبد الرحمن بدوي بأن جوته "تأثر بما ورد في سفر أيوب من العهد القديم من الكتاب المقدس حيث يوجد في هذا السفر رهان، حتى وان لم يذكر صراحة ومفاده أن إصابة الإنسان بالبلايا من الله تؤدي إلى الكفر به"[54]

إن مفستوفيليس مقارنةً بالشيطان الذي ذكر في الكتاب المقدس يبدو أذكى جداً وأوسع حيلة، و أبرع في القول والتبرير وتحليل الأمور من الشيطان في "سفر أيوب" (أحد أسفار العهد القديم)[55]

إن نهاية فاوست يشوبها الغموض، و"الرب لا يقول كلمة صريحة عن نهايته والجدال بين الرب ومفستوفيليس لا ينتهي إلى حل حاسم، والحل النهائي مصطنع مفروض من الخارج وليس نتيجة تطور فاوست" أي في أخر المسرحية وهذا يبقى معلقاً إلى أن نثبت هذا الكلام"[56]

بحسب عبد الرحمن بدوي، فإن الرب حين أذن لمفستوفيليس بالتصرف في فاوست " إنما فعل ذلك هازئاً من مفستوفيليس و اثقاً بأنه سيخسر الرهان في النهاية، وبأن فاوست سيظفر بالنجاة ".

إن جوته يبدأ المسرحية من المطلق، لكن كما يرى بدوي "من وجهة نظر المثيولوجيا المسيحية حيث إن الله هو الخير المطلق والشيطان هو الشر المطلق"[57]

والإنسان فاوست منفصل عنهما أي يعتمد على ما كان في، هذا بالرغم من خلو جوته "من الإحساس بالخطيئة، ولم يشعر بحاجة إلى إله يموت كفارة عنه و أنكر كل حديث عن الصليب قائلاً: "لست عدواً للمسيحية ولا مضاداً لروح المسيحية ولكني قطعاً

لا – مسيحي ، انك تقبل الإنجيل كما هو على أنه حقيقة إلهية . حسناً ، ما من صوت مسموع من السماء يمكن أن يقنعني بأن امرأة يمكن أن تحبل بطفل دون رجل ، وأن رجلاً ميتاً يقوم من قبره . و أنا أعدّ هذه كلها تجديفات على الله وعلى إعلانه ذاته في الطبيعة".

يقول جوته: "طوفت في شتى ضروب العلم و انتهيت في فترة مبكرة من حياتي إلى تبين بطلانه، ثم إنني جربت كل أساليب العيش في الحياة الو اقعية، وكنت دائماً أعود منها ضيق النفس غير راض عنها"[58].

طبيعة الحوار

الحوار بين فاوست و تلميذه

كما ترى دراسة الدكتور بلال شحادات بجامعة دمشق: فإن "فجنر يمثل الحذلقة في العلم والحرص على التعلم الآلي والاستظهار للكتب المدرسية والمتون، يؤثر الكلمات المحفوظة والعبارات الفخمة والفصاحة اللغوية على الآراء الشخصية والفهم والابتكار"[59]

"وهو على النقيض من فاوست: انه يؤمن إيماناً شديداً بالعلم المودع في صدور الكتب بينما فاوست، قد ضاق به ذرعاً واستشرف إلى اللانهائي والعلم الحي وهو لايفهم شيئاً من تحليقات أستاذه فاوست".

هو لا يفهم ما يضطرب في نفس فاوست من وجدانات وتطلعات وآلام، ثم يتم الحديث بينهما ويظهر أن فاوست يتهكم به ويوبخه على احتفاله برنين الألفاظ الطنانة لإقناع الناس، ويقول له: "انك لن تضم أبداً القلب إلى القلب، إذا لم تأت كلماتك من القلب"[60]، لكن عبثاً ما يحاول فاوست أن يقنع به فجنرويعاود ويقول له بأن الإقناع قادر على أن يحدث بالعقل والإحساس السليم دون الحاجة إلى الصنعة فلا داع للبحث عن ألفاظ، إن فجنر يبحث عن الينابيع الحقة في العصور السحيقة ويسخر فاوست مما بلغه الإنسان من العلم، فالناس الحاليين عقولهم هي عقول الماضي مجرد سلال للقاذورات، ينصرف فجنر لأن غداً هو اليوم الأول من عيد الفصح ولا يريد أن يثقل على أستاذه.

جوته يقول في أمثال فاجنر: "إنه من واجبنا ألا نخبر غيرنا بأكثر مما في قدرتهم تلقيه فالإنسان لا يفهم إلا ما يناسبه"[61].

فاوست والشيطان

في دراسة بلال شحادات: "إن مفستوفيليس لا يبقى مجرد جزء من ذاتية فاوست بل يصبح وجهاً ذا تقاسيم متميزة ومستقلة، وهذا إنجاز عظيم من قبل جوته بحيث يخلق منه كياناً له خصوصيته بالرغم من أنه من ذات فاوست.

لقد صُفيّ مفستوفيليس من العنصر الشيطاني كشيء يقع خارج النطاق الإنساني، وهو يعلن "أن طريق فاوست إلى الخلاص أو اللعنة لايعتمد إلا على فاوست نفسه وليس إطلاقا على الشيطان، أو أية تأثيرات شيطانية"[62].

يظهر فاوست ومفستوفيليس وكأنهما مشككان في وجود الحساب الاخروي، وينطلقان من مصالحهما الآنية.

***

مناجاة فاوست

بعد أن سخِرت منه روح الأرض شعر بيأس قاتل فلم يعد يشعر أن هناك وسيلة أخرى يمكن له أن يتبعها ليحقق غاياته إلى الانتحار علّه يجد في الموت سلواه، فها هو ذا يناجي كأس السم: "فيك أجل حكمة بني الإنسان وصناعتهم أنت خلاصة العصارات الرقيقة الجالبة للنوم، وخلاصة كل قوى الموت اللطيفة اكشفي لسيدك من فضلك!"[63].

استعد لوداع الحياة، ويهم برفع القارورة إلى شفتيه وإذا به يسمع قرع النو اقيس و إنشاد الجوقات إيذاناً بعيد الفصح، وهذا كان كفيلاً بإبعاد السم عن شفتيه، ويستغرب هذا التأثير القوي للإنشاد وللرنين لكن هذا ربطه مباشرةً بعالم كان راكداً في نفسه فصاح:

"استمري في الرنين، أيتها الأناشيد السماوية العذبة!

انبثقت عبرة ، والأرض عادت فاستولت عليّ

الملائكة تعلن عن النصر الذي حققه على الموت والخطيئة بفضل قيامته".[64]

يقول عبد الرحمن بدوي: "عدول فاوست عن تجرع السم والانتحار لمجرد أنه سمع رنين نو اقيس عيد الفصح و أناشيد قيامة المسيح – غير مقنع – والمبرر ضعيف لا يليق بمن في مرتبة فاوست علماً وذكاءً وتطلعاً إلى الآفاق العليا..نعم، إن في هذا التبرير من السذاجة ما يضعف قوة الحبك المسرحي".[65]

المأساة

حين فكر فاوست بالانتحار، كان يشك بأن هذه المعرفة التي حصلها، "لم تضعه على صلة بالأشياء بيما (بينما) كان يرغب في أن يعرف بواسطة التجربة Erfahren وفي أن يعيش بنفسه سر الكائنات والحقيقة والطبيعة والسر الإلهي . إن الادعاء الساذج لفاغنر(فجنر) يمثل تماماً مرحلة المعرفة التي تخطاها فاوست ، ذلك لأن المعرفة في نظر فاوست إنما هي الانفتاح على الكائنات أي على كشف ... الحياة والطبيعة وكشف الله الذي يصبو إليه كل اندفاعه" [66].

الخلاص

إن الشيطاني في مفستوفيلس "هو سخريته المرّة وألاعيبه العجيبة وتهكمه بكل شيء في الخلق، والشك في قيمة كل شيء وازدراؤه لمساعي الإنسان"55. إنه كان يتجسس على فاوست مباشرة أو عن طريق أعوانه فهو تحدى الرب على فاوست، وهذا يؤكد عدم حاجة مفستوفيلس لأن يخدع فاوست بالكلمات لأن فاوست نفسه كان على استعداد تام للارتماء في أحضان الشيطان بدليل ممارسته للسحر، إن الشيطان "لا يتجسس على فاوست ولا يستغل ضعفه ليدخل عليه، ويعرض عليه المساعدة و إنما فاوست إذ يصيبه اليأس والملل من الحياة التي يعيشها والمعرفة التي لا تروي له غلة ، ولا تحل له مشكلاته المادية أو الروحية يتجه إلى السحر"[67].

فاوست سيعتمد على مفستوفيلس في كل ما سيجري في الجزء الأول حيث سيكون فعالاً بشكل كلي، أما في نهاية الجزء الثاني سيحاول فاوست التخلص من قوى الشر لكنه لا يقدر...!

كان فاوست تو اقاً إلى استغلال منابع سائر أشكال الإبداع والخلق، غير أنه الآن يجد نفسه وجهاً لوجه أمام قوة التدمير بدلاً من ذلك، تغوص المفارقات إلى ما هو أعمق من ذلك: لن يكون قادراً على خلق أي شيء ما لم يكن مستعداً للتخلي عن كل شيء للقبول بحقيقة أن كل ما تم خلقه حتى الآن – بل وكل ما من شأنه أن يخلق في المستقبل من قبله- لابد من أن يتعرض للتدمير في سبيل تمهيد الطريق المؤدي إلى المزيد من الخلق[68].

نجد في نهاية المسرحية أنهما – فاوست ومفستوفيلس- يو افقان معاً على الرهان، إلا أن كلاً منهما يفهم معنى مختلفاً تماماً للكلمات نفسها، إلا أن فاوست في المسرحية بكاملها قد عّبر في مو اقف عدة عن موجتي الإلحاد والرومنتيكية اللتين اشتركتا

في تكوين شخصيته.

يقول عبد الرحمن بدوي: "الكلمة لايمكن أن تكون هي الأولى لأنها تفترض المعنى ، أو الفكرة مقدماً، إذ هي مجرد تعبير صوتي عن الفكر والمعنى، والفكر هو الآخر ليس بشيء بدون القوة، التي تحقق الفكر، والقوة لا تنكشف إلا بالفعل، لهذا فإن الأول في الوجود هو الفعل ".

ويقول أيضاً: "ما أبعد هذا عن مقصود يوحنا الإنجيلي! إن هذا أراد بالكلمة: المسيح بوصفه مخلص العالم ونور العالم وحياته"

قال جوته: "نحن نجد الحقيقة في الفعل أكثر مما نجدها في الفكر وينبغي أن يكون الفكر أداة العمل لابديلاً عنه" بينما يرى هيجل"كينونة الإنسان الحقيقية ، هي بالأحرى فعله"[69]

***

الحب ودوره في الحبكة

الحب، والاشتياق إلى الحبيب الذي لا يهرب من خيال العاشق، بغير المحبوب لا سرور، وبدون الذوبان في الحب فلا حياة حقيقية. كذا يبدأ بطل المسرحية فاوست:

" أية سرور سماوي أشعر به بين ذراعيها !
دعني أستدفئ في صدرها !
أولا أشعر دائماً بمحبتها ؟
ألست هارباً وبغير مأوى
لست إلا إنسانا دونما هدف
يهدر كالسيل من صخر الى صخر
مزمجراً نازعاً الى السقوط في الهاوية
بينما هي محبوسة في عالمها الصغير...
فليتهدم مصيرها على أم رأسي
وليقضى علينا معاً "[70]

وبحسب محمد أبو الفضل بدران، فإنه "في مقابل مناجاة فاوست لنفسه وهو في الغابة والكهف، نجد مناجاة جرتشن (مرجريت) لنفسها وهي أمام عجلة الغزل تشتاق فيها إلى حبيبها الذي هجرها. طارت من قلبها الطمأنينة وسرى فيه الحزن والضيق، لان

صدرها يدفعها اليه، وبودها أن تمسك به، وأن تشبعه لثماً وعناقاً!

ويعود المحبان الى اللقاء من جديد في حديقة مارتا، ويدور الحوار بين كليهما حول الدين والايمان ووجود الله، ذلك أن مرجريت بسيطة الايمان وقد لاحظت أن فاوست لايبدي أي اكتراث للدين فلا تحتمل ذلك لأنها تريد لحبيبها النجاة، والايمان عندها طقوس وشعائر يجب أن يؤديها المؤمن"[71].

فها هي ذي تسأله[72]:

- هل تؤمن بالله
- في وسعك أن تسألي القسيس أو الحكماء وسيبدو لك جوابهم مجرد استهزاء بالسائل
- اذن أنت لا تؤمن
- لا تسيئي فهم كلامي أيها الوجه اللطيف فمن ذا الذي يحق له أن يسميه أو أن يقرّ قائلاً: أنا أؤمن به؟ ومن عنده شعور ثم يتجاسر أن يقول: أنا لا أؤمن به.

ثم يربط فاوست كل أعضاء العالم حتى أصغر الكائنات بعضها ببعض في وحدة كلية. ويطلب منها أن تملأ قلبها بهذا الشعور بوحدة الكل ولها بعد ذلك أن قسميها: السعادة، القلب، الحب، الله كلها أسماء مترافدة، ولهذا يصرح فاوست بأنه لايسميه باسم لأن الشعور هو كل شيء.

تسمع مارجريت هذه العبارات لكنها تشك في ايمان حبيبها بالمسيحية لأنها ترى فاوست بصحبة هذا الشخص الغريب مفستوفيلس.

وتريد أن ترحل فيتمنى عليها فاوست أن تدعه يستريح ساعة على صدرها فتقول: ياليتها كانت تنام وحدها، لكانت تركت الباب غير مغلق بالمزلاج، لكن أمها خفيفة النوم، هنا يحتال فاوست عليها ويقدم لها زجاجة فيها شراب منوم يخدر حواس أمها، وتخشى مرجريت أن يضر الشراب بأمها، فيطمئنها فاوست. فتقول: "لقد فعلت الكثير من أجلك، حتى لايكاد يوجد شيء لم أفعله بعد" [73].

وتخرج، ويدخل مفستوفيلس وراح يسخر منها ومن فاوست، لكنه مسرور بسقوط كليهما في الخطيئة.

يرى عبد الرحمن بدوى أن "شدة الصراع بين فاوست ومفيستو تزداد طبقاً

لاشتداد علاقة الحب وتطورها الأعلى"[74].

جوته قد جسد في فاوست، كما في جريتشن، ليس فقط عاطفة الحب نفسها، بل كذلك كافة مراحل تطورها من بداياتها العابثة ونصف الواعية، الى المأساة الأكثر عمقاً، إن كافة الاتجاهات الكبرى للتطور متركزة في شخص فاوست وعندما يقترب من جريتشن، بعد تحوله نحو الحياة، فانه ينوء بالعبء المحزن لمأساة المعرفة المباشرة التي لم يكد يتخطاها، ولميثاقه مع الشيطان[75].

مشهد إيمان فاوست

هو يرى في الطبيعة أن كل شيء موجود من أجل الآخر، الواحد من أجل الكل، والكل من أجل الواحد، ولهذا كانت تصورات جوته عن الطبيعة والفن والمجتمع أنها تندمج في وحدة، وهذا الاندماج يؤدي الى تركيب كلي. يقول جوته[76]: "الطبيعة كلها لحن ينطوي على تناغم و انسجام فجوهر الطبيعة هو التناغم والتو افق أي شيء هو التناغم الا أن يكون القواعد وأي شيء هو اللحن الا أن يكون الممارسة".

إن جوته كما يرى الدكتور عبد الرحمن بدوي يرى في الطبيعة "قدرة على الخلق لا متناهية، وقوة للتحويل والتصوير غير محدودة، وهي قوة واحدة تسري في جميع الكون، وشعور ممتلىء بالإعجاب بهذه القوة وتلك القدرة"

<u>ختاماً</u>، فقد حاولت هذه الدراسة تناول واحدة من أكثر الشخصيات تأثيرا في الأدب العالمي. فأسطورة فاوست أو شخصية الدكتور فاوستس، قدمت أفكارا لعشرات الأعمال الأدبية، وظهرت بطريق مباشرة أو غير مباشرة في أعمال سينمائية ودرامية.

ولا تزال تقدم مفتاحا لفهم الصراع بين الإنسان والشيطان، أو لمحاولة فض الاشتباك بين النور والظلام أو الخير والشر داخل النفس البشرية. مظهرة خطايا الإنسان الكبرى من وجهة نظر الشيطان، المتمثلة في سبع خطايا أساسية، تكفي واحدة منها لهلاك الإنسان.

ولا تزال شخصية فاوست الذي باع روحه للشيطان ملهمة للفن على اختلاف أنواعه، معبرةً عن مأساة الإنسان، وتشتته بين الخير والشر أو بين النور والظلام. كما جاءت في اثنين من أبرز الأعمال الأدبية المتناولة لشخصية فاوست، عند الإنجليزي كريستوفر مارلو، والألماني يوهان جوته.

المصادر:

- فاوست، يوهان جوته، ترجمة عبد الرحمن بدوي، المركز القومي للترجمة، 2009
- فاوست، يوهان فولفجانج فون جوته، ترجمة محمد عوض محمد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1971.
- مأساة فاوست، يوهان فولفجانج فون جوته، ترجمة عبد الحليم كرارة، الإسكندرية، دار المعارف، 1959.
- فاوست، يوهان فولفغانغ فون غوته، ترجمة إسماعيل كامل، القاهرة، دار الجيب.
- أندره دابيزيس، أسطورة فاوست، ترجمة خليل شطا
- كريستوفر مارلو، مأساة دكتور فاوستس، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، سلسلة المسرح العالمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت

المراجع

- بريتانيكا -ENCYCLOPÆDIA BRITANNICA
- The Oxford English Dictionary, the 9th edition, Oxford
- قاعدة بيانات الخيال التأملي: http://www.isfdb.org/cgi-bin/ea.cgi?144214
- The Tragical History of the Life and Death of Doctor Faustus, 1994, Dover Publications
- حاجم البدري، جعفر، العقد الشيطاني في مسرحية كريستوفر مارلو (دكتور فاوستس)
- إنجيل متَّى.
- أنيس، عبد العظيم (2010). جوته شاعر عظيم وعالم فاشل.
- في: الطريحي، محمد سعيد. شاعر ألمانيا الأعظم جوته. دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.

- شامي، رفيق وجوتشان، أوفه (2005). التقرير السرّيُّ عن الشاعر جوته. ترجمة نهى فورست. كولونيا (ألمانيا): منشورات الجمل.
- غصن، أمينة (2011). أمين الريحاني في العبء الرسوليّ. بيروت: دار الفارابي.
- ماهر، مصطفى (1999). جوته الإنسان. في كتاب: جوته العبقريَّة العالميَّة. برلين وبيروت: إذاعة صوت ألمانيا ودار الجديد.
- مكَّاوي، عبد الغفَّار (1999). مأساة فاوست وبعض ظلالها في الأدب المصريّ الحديث. في كتاب: جوته العبقريَّة العالميَّة. برلين وبيروت: إذاعة صوت ألمانيا ودار الجديد. دكتور فاوستس، ترجمة نعمان الحاج حسين، عالم الفنون والآداب، 2015
- موسوعة العلام، الدكتورة عزيزة فوال بابتي،دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، باب الجيم
- محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة
- صفحات خالدة من الأدب الألماني، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة، مكتبة الأسرة، 2010

الهوامش

1 شاعر وناقد بريطاني، 1822- 1888، شغل كرسي الشعر في أكسفورد دورتين متتاليتين وكان أول أستاذ يلقي محاضراته. ذاعت شهرته النقدية عبر سلسلة مقالات صدرت في كتابين تحت عنوان (مقالات في النقد)

2 فاوست، يوهان فولفجانج فون جوته، ترجمة محمد عوض محمد

3 أندره دابيزيس، أسطورة فاوست، ترجمة خليل شطا (وزارة الثقافة، دمشق 1982)

4 أندره دابيزيس، أسطورة فاوست، ترجمة خليل شطا (وزارة الثقافة، دمشق 1982)

5 أندره دابيزيس، أسطورة فاوست، ترجمة خليل شطا (وزارة الثقافة، دمشق 1982)

6 أندره دابيزيس، أسطورة فاوست، ترجمة خليل شطا (وزارة الثقافة، دمشق 1982)

7 نبيل الحفار، (فاوست)، الموسوعة العربية

8 هيبوليت تاين (1828 - 1893) ناقد ومؤرخ فرنسي، أحد المؤيدين الرئيسيين للوضعية الاجتماعية وواحد من الممارسين الأوائل للنقد التاريخي.

9 History of English Literature Volume 3 Hippolyte A. Taine.

10 جعفر حاجم البدري : العقد الشيطاني في مسرحية كريستوفر مارلو (دكتور فاوستس)

11 جعفر حاجم البدري : العقد الشيطاني في مسرحية كريستوفر مارلو (دكتور فاوستس)

12 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة (المجلد 62 - العدد 3 يوليو)

13 جعفر حاجم البدري : العقد الشيطاني في مسرحية كريستوفر مارلو (دكتور فاوستس)

14 جعفر حاجم البدري : العقد الشيطاني في مسرحية كريستوفر مارلو (دكتور فاوستس)

15 جعفر حاجم البدري : العقد الشيطاني في مسرحية كريستوفر مارلو (دكتور فاوستس)

16 جعفر حاجم البدري : العقد الشيطاني في مسرحية كريستوفر مارلو (دكتور فاوستس)

17 دكتور فاوستس، ترجمة نعمان الحاج حسين، عالم الفنون والآداب

18 جعفر حاجم البدري : العقد الشيطاني في مسرحية كريستوفر مارلو (دكتور فاوستس)

19 جعفر حاجم البدري : العقد الشيطاني في مسرحية كريستوفر مارلو (دكتور فاوستس)

20 دكتور فاوستس، ترجمة نعمان الحاج حسين، عالم الفنون والآداب

21 مجلة (الفيصل) في العدد مائة وسبعين، دراسة، قسم الترجمة

22 مجلة (الفيصل) في العدد مائة وسبعين، دراسة، قسم الترجمة

23 مجلة (الفيصل) في العدد مائة وسبعين، دراسة، قسم الترجمة

24 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة (المجلد 62 - العدد 3 يوليو)

25 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة (المجلد 62 - العدد 3 يوليو)

26 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة (المجلد 62 - العدد 3 يوليو)

27 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة (المجلد 62 - العدد 3 يوليو)

28 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة (المجلد 62 - العدد 3 يوليو)

29 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة (المجلد 62 - العدد 3 يوليو)

30 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة (المجلد 62 - العدد 3 يوليو)

31 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة (المجلد 62 - العدد 3 يوليو)

32 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة (المجلد 62 - العدد 3 يوليو)

33 جوتهولد إفرايم ليسنج، كاتب، وفيلسوف، وكاتب مسرحي، وناقد فني ألماني (22 يناير 1729-15 فبراير 1781) هو أحد أهم ممثلي عصر التنوير، مسرحياته وكتاباته النظرية أثرت بصورة كبيرة على تطور الأدب الألماني.

34 صفحات خالدة من الأدب الألماني، ترجمة مصطفى ماهر

35 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

36 شاعر وفيلسوف ومؤرخ ألماني، وأحد رموز حركة العاصفة والطموح. من المتأثرين بالثورة الفرنسية، وواحد من أهم المفكرين الألمان في الثلث الأخير من القرن 18 ميلادي

37 هردر، الموسوعة العربية، نبيل الحفار

38 صفحات خالدة من الأدب الألماني، ترجمة مصطفى ماهر

39 (ظلت الألزاس منطقة نزاع بين فرنسا وألمانيا. أصبحت المنطقة في أواخر القرن الثامن الميلادي، جزءًا من إمبراطورية شارلمان. فكانت من نصيب المملكة المتوسطة الواقعة بين ألمانيا وفرنسا، عندما اقتسم أحفاد شارلمان الإمبراطورية. لكن الألزاس واللورين سرعان ما عادت إلى الانضواء تحت الحكم الألماني)

40 بلال شحادات، مأساة فاوست

41 بلال شحادات، مأساة فاوست

42 بلال شحادات، مأساة فاوست

43 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن" .. حولية كلية الآداب بجامعة القاهرة (المجلد 62 - العدد 3 يوليو)

44 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن"

45 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن"

46 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن"

47 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

48 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

49 باروخ سبينوزا، فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن 17. ولد في 24 نوفمبر 1632 في أمستردام، وتوفي في 21 فبراير 1677 في لاهاي.

50 واحدة من أشهر المسرحيات الهندية ، ألفها كاليداسا ،القائمة على الأسطورة ، ونقلها للعربية المستشرق الإنجليزي وليام جونز (انظر:موسوعة العلام، الدكتورة عزيزة فوال بابتي،دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، باب الجيم

51 التقرير السرّيُّ عن الشاعر جوته. ترجمة نهى فورست

52 عبد العظيم أنيس، جوته شاعر عظيم وعالم فاشل

53 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

54 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

55 أمينة غصن، أمين الريحاني في العبء الرسوليّ

56 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

57 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

58 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

59 بلال شحادات، مأساة فاوست

60 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

61 بلال شحادات، مأساة فاوست

62 بلال شحادات، مأساة فاوست

63 جعفر حاجم البدري : العقد الشيطاني في مسرحية كريستوفر مارلو (دكتور فاوستس)

64 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

65 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

66 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن"

67 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن"

68 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن"

69 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

70 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

71 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن"

72 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن"

73 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن"

74 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي

75 محمد أبو الفضل بدران، في دراسته المنشورة بعنوان: فاوست "النص المهيمن"

76 فاوست، جوته، عبد الرحمن بدوي